الخُطَبُ المِنبَرِيَّةُ

عَاقِبَةُ الظُّلمِ فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ

أَبُو الحَسَن حُسَين عِلْمِي بَرْخَط العَرْمَوِيُّ الصُّومَالِيُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى

الحمد لله العليم القدير، مقلب الليل والنهار، عزيز لا يرام، وجبار لا يضام، وقيوم لا ينام.

بيده معاقد العزّ، ومفاتيح الملك، ومقاليد كل شيء، فيؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويُعِزُّ من يشاء، ويُذلُّ من يشاء، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠ – ٧١].

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها المؤمنون عبادَ الله!

– قد حرَّم الله – سبحانه وتعالى– الظُّلمَ على نفسه، وجعله أيضًا مُحرَّمًا بين عباده، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»[1].

---

[1] . رواه مسلم (برقم: ٢٥٧٧).

- وقد حذَّرنا النبي ﷺ عن الظلم، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

والظلم ثلاثة أنواع:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ، وَظُلْمٌ يَغْفِرُهُ، وَظُلْمٌ لَا يَتْرُكُهُ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ: فَالشِّرْكُ، قَالَ اللهُ: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يَغْفِرُهُ: فَظُلْمُ العِبَادِ أَنْفُسَهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ - عز وجل -، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَتْرُكُهُ: فَظُلْمُ العِبَادِ بُعْضَهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَقُصَّ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ»[2].

من صور عذاب الظالمين في الدنيا:

وللظالمين عذاب في الدنيا قبل الممات، وعذاب في الآخرة بعد الممات، فمن صور عذابهم في الدنيا:

- إمهالهم ليزدادوا إثمًا:

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}»[3].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

- تعجيل العذاب لهم:

---

[1] . رواه مسلم (برقم: ٢٥٧٨).

[2]. أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٢٢٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٠٩) وصححه الألباني في صَحِيح الجَامِع: (٣٩٦١)، وفي الصَّحِيحَة: (١٩٢٧)].

[3] . أخرجه البخاري (برقم: ٤٦٨٦) ومسلم (برقم: ٣٥٨٣).

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَابَانِ مُعَجَّلَانِ عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا: الْبَغْيُ وَالْعُقُوق»[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ شَيْءٌ أُطِيعُ اللهَ فِيهِ أَعْجَلُ ثَوَابًا مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْجَلَ عِقَابًا مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»[٢].

– الحرمان من إجابة الدعاء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ»[٣].

– استجابة دعاء المظلوم

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضي الله عنه – يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ»[٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلَّم –: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»[٥].

١. أخرجه الحاكم (٧٣٥٠) مطولًا واللفظ له، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٥)، والخطيب في «الموضح» (٤٤/١) باختلاف يسير، وانظر صَحِيح الْجَامِع: (٢٨١٠) والصَّحِيحَة:(١١٢٠).

٢. أخرجه أبو نعيم في «مسند أبي حنيفة» (ص: ٢٤٣) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢٥٥) مختصرًا، والبيهقي (٢٠٣٦٤) واللفظ له، وانظر صَحِيح الْجَامِع:(٥٣٩١) والصَّحِيحَة: (٩٧٨).

٣. أخرجه مسلم (برقم: ٢٧٣٥).

٤. رواه أحمد (برقم: ١٢٥٤٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (برقم: ١١٩) وفي الصحيحة (برقم: ٧٦٧)، وضعف إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند (برقم: ١٢٥٤٩).

٥. أخرجه الترمذي (برقم: ١٩٠٥) وأبو داود (برقم: ١٩٣٦) وأحمد (برقم: ٧٥٠١) وابن ماجه (برقم: ٣٨٦٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (برقم: ٣٠٣٢) وفي الصحيحة (برقم: ٥٩٦).

وَعَنْ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلَّم –: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[1].

– القِصاص

ومن صور العقوبة التي تحلّ بالظالم في الحياة الدنيا: القِصاصُ، فقد جعل الله – تعالى– القِصاص وسيلةً لأخذ الحقِّ من الظالم، حيث قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

– سوء الخاتمة

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا بِالقَولِ الثّابِتِ فِي الحَياةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظّالِمينَ وَيَفعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَو تَرى إِذِ الظّالِمونَ في غَمَراتِ الموتِ وَالملائِكَةُ باسِطو أَيديهِم أَخرِجوا أَنفُسَكُمُ اليَومَ تُجزَونَ عَذابَ الهونِ بِما كُنتُم تَقولونَ عَلَى اللَّهِ غَيرَ الحَقِّ وَكُنتُم عَن آياتِهِ تَستَكبِرونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

– عذاب استئصال

قال تعالى – عن بني إسرائيل –: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال الله تعالى – عن فرعون الظَّلَّام –: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ * فَأَخَذْناهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي اليَمِّ فانظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظّالِمِينَ﴾ [القصص: ٣٩ – ٤٠].

[1] . أخرجه ابن حبان (برقم: ٨٧٤) وابن أبي خيثمة في «تاريخه» (٢٨٨٣)، والطبراني (٣٧١٨) وانظر الصحيحة: (٨٦٩).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ لله جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ العَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام من الآية: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ القُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف من الآية: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء من الآية: ٢٧٧].

تلكم – عباد الله – سُنَّةُ الله تعالى في الظالمين

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا} [فاطر: ٤٣﴾.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الرَّحمن الرَّحيم، مالك يوم الدين، ثم الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

أيُّها المؤمنون عبادَ الله!

أهل البغي معذبون في قبورهم:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور: ٤٧].

- عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ فِي الْقُرْآنِ، ثُمَّ تَلَا {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ}».

قال ابن جرير: «وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَى بِذَلِكَ الْجُوعَ»[1].

جزاء الظالمين في الآخرة

عذاب الظالمين في الآخرة أليم شديد:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٥٢].

اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تهب لنا قلوبًا لينة تخشع لذكرك وشكرك.

اللهم إنا نسألك إيمانًا كاملًا، ويقيناً صادقًا، وقلبًا خاشعًا، وعلمًا نافعًا، وعملًا صالحًا مقبولًا.

اللهُم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذرِيَتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ ابْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيد مَجِيد.

[1] . تفسير الطبري (٢١/٦٠٣).